الفصل الخامس

الجن فى المعتقد السحرى الرسمى

الفكرة الاساسية هنا وراء معالجة موضوع استخدام الجن فى السحر الاسلامى أن نوعى السحر الرسمى والشعبى ــ كما حددناهما فى سياق سابق ــ يتبادلان التأثير ويتفاعلان دائما أبدا على نحو لا يجيز الفصل الكامل بينهما ، بمعنى التعرض لفكرة أو ممارسة معينة فى أحدهما واغفال للمجال الآخر • فهما فى نهاية الامر يعيشان فى صدور الناس ، وان اختلفت دوائر حملة كل منهما ، ومجالات تأثيره والانتفاع به • وانطلاقا من هذه النظرة فان معرفة استخدام الجن فى السحر الرسمى تمثل جزءا مكملا بالضرورة لموضوع الجن فى المعتقد السحرى الشعبى • وسنرى فيما يلى أكثر من نموذج على تداخل المجالين وتبادل التأثير بينهما ، أبرزها فكرة العمار التى نفذت الى السحر الرسمى من مجال السحر الشعبى ، أو قل المعتقد الخرافى الشعبى ، وباتت تحتل فيه أهمية كبرى وتدور حولها كثير من التفاصيل على نحو ما سنفصل القول فيما بعد •

ومصادرنا فى استطلاع جوانب موضوع كهذا ليست كل الناس أو عامة الشعب وانما السحرة المحترفون سواء بدا ذلك فى تراثهم المكتوب الذى يرجعون اليه أو فى تعاملنا المباشر معهم • وقد اخترنا من بين المدونات السحرية ــ مخطوطة ومطبوعة ــ المؤلفات المنسوبة لمحيى الدين أبى العباس أحمد بن على بن يوسف البونى القرشى • وقد أكدت المصادر والمراجع المختلفة فى أكثر من مناسبة انه أكبر وأشهر ساحر اسلامى معروف على الاطلاق • ولعل نظرة واحدة الى قائمة المؤلفات العديدة المتنوعة التى تنسب له سوف تؤيد هذا الحكم ولا شك • ونصادف أكمل حصر لهذه المؤلفات المنسوبة اليه عند حاجى خليفة فى « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » وكارل بروكلمان فى « تاريخ الادب العربى » •

فينسب اليه كلاهما عددا هائلا من المؤلفات ، وان كانا يختلفان بصدد عدد منها •

وقد أورد البونى عرضا لطائفة من أسماء مؤلفاته فى سياق بعض الكتب المنسوبة اليه والتى تناولناها بالدراسة مخطوطة ومطبوعة • وتدور هذه المؤلفات حول جميع مجالات السحر وفروعه المعروفة ، وان كانت تكرس قدرا خاصا من الاهتمام لموضوع أسماء الله • فاستخدام أسماء الله فى السحر يمثل نواة هذه المؤلفات • تماما كما يمثل نواة السحر الاسلامى على الاطلاق •

فالبونى يتكلم عن أسماء الله فى كل مناسبة مباشرة أو غير مباشرة سواء فى ذلك كان يتناول الخصائص السحرية للحروف ، أو عمل الاوفاق والاشكال السحرية أو خصائص الايام والساعات • الخ • هذا علاوة على أن طائفة من مؤلفاته تحمل فى عنوانها الكلام عن موضوع أسماء الله(١) •

وهناك فى هذا الصدد ملاحظة هامة وهى أن الاستخدام السحرى المتخصص لهذه الارواح يربطها دائما بالاسم الالهى المستخدم فى العملية السحرية • ولذلك فأفضل سبيل لفهمها هو معالجتها فى اطار ارتباطها بموضوع استخدام أسماء الله فى السحر ، كما سيتضح فى ثنايا معالجتنا التالية •

يرى الساحر أن لكل مخلوق من مخلوقات الله ملاك(٢) مكلف

---

(١) انظر عرضا ومناقشة « للمؤلفات السحرية المنسوبة للبونى » لكاتب هذه السطور ، مقال بمجلة « الفنون الشعبية » ديسمبر ١٩٧٠ . ص ص ٢٥ — ٣٣ .

(٢) اذا كنا نستخدم هنا كلمة « ملاك » ، فبمعنى واسع كل السعة فالمفروض أن تدل الكلمة على روح معينة . ويدلنا على مدى غموض وعدم تحديد مدلول هذا — حتى بين السحرة المحترفين أنفسهم — كثرة وتنوع المسميات التى نجدها عند واحد كالبونى مثلا . ومن هذه المسميات : ملاك أو ملك ، وخادم ، وموكل ، وعون وأعوان . وقد يستخدم اسمان فى وقت واحد مثل « الملائكة الخادمون » . كما يطلق عليهم ايضا اسم أرواح أو « روحانية » على أن هناك أرواحا مختلفة : الارضية والروحانية او العلوية .

بحراسته والسهر عليه • فهناك بهذا المعنى خدام معينون لكل اسم من أسماء الله ، ولكل آية من آيات القرآن ، ولكل حرف من حروف الابجدية ، بل ولكل دعوة • على أن الخدام ليست مخصصة فقط لهذه الاشياء المقدسة ، وانما هناك خادم لكل ساعة من ساعات اليوم ، ولكل يوم من أيام الاسبوع • ولكل فصل من فصول السنة ، ولكل نوع من أنواع الرياح ، ولكل اتجاه من الاتجاهات الاربع(٣) •

ويرى الساحر الرسمى (البونى) ان هناك جماعات مختلفة من هؤلاء الخدام أو الملائكة • ويتم تقسيمهم اما تبعا لمجال عملهم ، أو مكان تواجدهم •• الخ • وهناك وفق التقسيم الاول ملائكة لحمل العرش ، وآخرون لتنفيذ ما يكتبه القلم(٤) • وهناك حسب التقسيم الثانى ملائكة علوية ، وسماوية ، « وفلكية » •• الخ(٥) •

ويشير البونى فى أكثر من موضع أن كل روح أو ملاك أرضى يخضع لسيطرة ملاك علوى معين • ونصادف فى أحد الشواهد الهامة حصرا لاسماء رؤساء الارواح العلوية والارضية (أو السفلية) التى تخضع لسيطرتها • ولازالت هذه الاسماء تحظى حتى اليوم بشهرة واسعة فى كتب السحر • وتعتبر الجن « الطيارة » والجن « الغواصة » أخطر أنواع الجن السفلية على الاطلاق(٦) •

---

(٣) أحمد البونى ، « شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف » القاهرة، بدون تاريخ (حوالى ١٩٥٦) . ج ١ ، ص ص ٥٢ — ٥٣ . وسنشير اليها فيما بعد على سبيل الاختصار « شمس المعارف » . وكذلك البونى أيضا مخطوط « اللمعة النورانية فى الكشوف الربانية » (دار الكتب المصرية ، ب ٢١٥٧٦) . ورقة ١٥ ب .

(٤) شمس المعارف ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٥) قارن أحمد البونى : منبع أصول الحكمة ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦٥ . وسنشير اليه فيما بعد على سبيل الاختصار باسم « الاصول » .

(٦) قارن على سبيل المثال : شمس المعارف، ج ١ ، ص ص ١١٤ — ١١٦ والاصول ، ص ١٣٧ . وكذلك محمد الجوهرى : استخدام أسماء الله فى السحر فى المؤلفات المنسوبة للبونى (بالالمانية) ، الملحق رقم ١ ، ص ص ٢١٢ — ٢٨٨ ، حيث عرضت ونوقشت بالتفصيل محتويات أحد الكتيبات السحرية الذائعة اليوم .

وتعيش هذه الارواح فى قبائل • ولكل منها اسم خاص به • وتدين معظم هذه الارواح بالاسلام ، ولو أن هناك طائفة منها تدين بديانات أخرى(٧) • غير اننا لا نخرج من مؤلفات البونى جميعها ــ كتبا ومخطوطات ــ بتفاصيل محددة عن أسماء وطبيعة هذه الديانات • ثم هى تتكلم لغات متباينة • وان لم يذكر من بين هذه اللغات سوى العربية والاعجمية ، وهو ما يمكن أن يدل على غير العربية بصفة عامة ، أو على الفارسية(٨) • وكما هو الحال بالنسبة للقبائل الانسانية ، تنقسم قبائل الجن الى رؤساء ، وأتباع ، وعلماء • الخ •

ومن الافكار الاخرى المتعلقة بالارواح ، والتى لا نصادفها الا فى الكتب السحرية المطبوعة حديثا ــ أى تلك المصطبغة بشكل واضح بالصبغة السحرية الشعبية ــ ان الارواح السفلية ، الذين يطلق عليهم هنا اسم « العمار » ، يسكنون فى كل مكان • وهم فى أغلب الاحيان أرواح شريرة ، بحيث انها يمكن أن تفسد العمل السحرى • ولذلك يتحتم على المشتغل بالسحر أن « يصرفها » من المكان قبل بداية كل عمل وفقا لطرق وأدعية خاصة • ولسنا بحاجة هنا الى تفصيل القول فى هذا الموضوع لانه ينتمى بشكل أوضح الى ميدان السحر الشعبى • وقد سبقت معالجته موضع سابق من هذا الكتاب • ولكننا أردنا أن نبرز ــ من واقع نموذجى حى ــ نوع التفاعل بين مجالى السحر الشعبى والرسمى •

وطبقا للتصور الشعبى عن العمار ، فانها بعد اكمال هذا الدعاء تنصرف الى « قاع الجبل المخيف » ، حيث تظل قابعة هناك حتى انتهاء العمل • وبعد انتهائه تعود الى حيث كانت من قبل • وفى هذا نقرأ عند

---

(٧) قارن الاصول ، ص ٨١ ، وص ٢٦٥ . وكذلك المخطوطة المنسوبة للبونى ولابن الحاج والمعنونة : « مجموعة فوائد من كتاب شمس المعارف الكبرى للبونى وكتاب ابن الحاج وغيرها » (دار الكتب المصرية ، ص ٣٩) ، ورقة رقم ٢٢ .

(٨) قارن : الاصول ، ص ٢٨٦ ، ومخطوط اللمعة ، ورقة ١٢١ .

البونى فى كتاب « منبع أصول الحكمة » ما يلى : « وليعلم الطالب أن جميع الامكنة لا تخلو من الارواح الجنية ، وأن سكان كل مكان من الجن لا يسمحون لغيرهم من الارواح الموكلين بخدمة الاسماء والدعوات بالدخول فى مكانهم الا اذا أمرهم الطالب باخلائه لهم • ولذلك يجب على الطالب اذا أراد عملا من الاعمال فى أى مكان أن يصرف عنه سكانه من الارواح ثم بعد اتمامه عمله يأمرهم بالعودة الى مكانهم »(٩) •

أشرنا من قبل الى أن الاستخدام المتخصص لهذه «الارواح الجنية» — أى استخدامها فى عمليات سحرية احترافية — يربطها دائما بالاسم الالهى المستخدم فى العملية السحرية • لذلك نرى أن أفضل سبيل لفهمها هو معالجتها فى اطار ارتباطها بموضوع استخدام أسماء الله فى السحر ، كما سيتضح فيما يلى :

ونبدأ بالاشارة الى الارتباط القائم بين كل اسم من أسماء الله وواحد أو أكثر من الملائكة أو الارواح الموكلة به • ويمثل هذا الموضوع : أعنى تحديد اسم الملاك الموكل وقبيلته ، وخواصه ، « والدعوة » التى يمكن استدعاؤه بها ، « والقسم » ، وكيفية التعامل معه عند حضوره •• الخ يمثل كل ذلك فصلا جوهريا من فصول « علم الاسماء » • ويسمى البونى هذا الموضوع : « شرح الاسماء الحسنى » • وهو يشرح لطالب السحر هنا ماذا يحدث بعد أن يدعو اليه بالاسم المحدد بالعدد المعين بالطريقة المعينة • ونعرض فيما يلى لنموذج ممثل لهذا الذى نتكلم عنه ، ثم نخصص الكلام فيما بعد على بعض التفاصيل ذات الدلالة •

« فصل فى شرح الاسماء الحسنى • اعلم ان اسمه تعالى الله هو اسم الله الاعظم ، وهو من الاذكار المفردة العظيمة • فمن ذكره ٦٦ مرة بعد صلاة ركعتين فى جوف الليل بعد صوم ورياضة طويلة ، فانه ينزل عليه سيد الروحانيين الملك كهيال عليه السلام • وهو من الملائكة التى تجاه

(٩) انظر أصول الحكمة ، ص ٩١ .

العرش ، وهو حاكم على ٦٦ صفا من الملائكة ، وتحت كرامته أربع قواد تحت يد كل قائد ٦٦ ملكا • فاذا ذكره الذاكر عدده فى خلوته فان الخادم يحضر ويخر ساجدا ويقول فى سجوده أسماء عظيمة سريعة الاجابة وهى : اللهم أنى أسألك يا الله يا واحد ، يا الله يا أحد ، يا الله يا دائم ، يا الله يا باقى ، يا الله يا قديم ، يا الله يا قدير ، يا الله يارب ، يا الله يا شكور ، يا الله يا حى ، يا الله يا قيوم أسألك بأحديتك وصمديتك ونعوت ربوبيتك أن عبدا من عبيدك قد شاركنا فى التسبيح والتقديس •• والامر أمرك فان أمرتنا بالنزول اليه فبارادتك • فيقول الله تعالى انزلوا اليه ، واقضوا حاجته فانه دعا باسمى الاعظم • فينزل ومن معه الى الذاكر ، ويقول له : أيها العبد الصالح اذكر الله تعالى • فيذكر فيرى الأنوار تخرج من فمه ويحصل له خشية وسكينة ، فيقول له الملك : أيها العبد الصالح قد ناجيت الله تعالى باسمه العظيم ونحن خدام هذا الاسم فما الذى تريد • فيقول أريد الطاعة لله تعالى ولاسمائه • فيقول لك تطهر ثيابك وبدنك وتصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهى الثالث عشر والياه(١٠) ، وأفطر على الحلال واقرأ الاسم عدده فان فعلت ذلك تصير أخا لنا ، ويصافحك الملك ويعاهدك ، ويقضى حاجتك وما تريد ، ثم أصرفه ينصرف بخير »(١١) •

ونود فيما يلى أن نركز اهتمامنا على التفاصيل التالية :

أولا : دلالة الرقم ٦٦ يمثل هذا الرقم القيمة العددية للاسم الالهى المذكور : الله •

---

(١٠) هناك كثير من الاحاديث الموضوعة (التى تنسب كذبا للرسول) عن فضائل تلك الايام الثلاثة وأهميتها ووصفها بأنها الثلاثة « البيض » (البيضاء) من الشهر . قارن الحافظ جلال الدين السيوطى (المتوفى ٩١١ هـ ١٥٠٥ م) : اللألىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٨٩٩/١٣١٧ ص ٢٥١ . وليس وضع مثل هذه الاحاديث بعديم الدلالة لنا ، فهى وسائل يتذرع بها المعتقد الشعبى الحى فى نفوس الناس ليعيش ويزداد رسوخا ويكسب شرعية .

(١١) شمس المعارف ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ .

ا ل ل ه

١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥ = ٦٦

ولهذا يكتسب هذا الرقم مكانة مقدسة خاصة : فيجب ذكر الاسم ٦٦ مرة ، ويحكم الملك « كهيال » ٦٦ صفا من الملائكة ، ويسيطر كل من الملائكة الخاضعين لسيطرته بدوره على ٦٦ ملاكا آخرين .. وهكذا(١٢) .

ثانيا : تكوين اسم الملاك من القيمة العددية للاسم الالهى : يسيطر على خادم من خدام الاسماء الالهية على عدد لا حصر له من الملائكة (الروحانيين) . ويوجد هذا الملاك الكبير عادة بجوار العرش . ويتكون اسم هذا الملاك من القيمة العددية للاسم الذى يخدمه . ويقوم هذا على أساس تصور معين لدى الساحر الرسمى ، يمكن أن نعرض نموذجا له على النحو التالى : « اعلم أن ما ظهر فى عالم الغيب اسم الا وكان فى عالم الشهادة جسم . يعنى أن المؤلف (أى الساحر المحترف) اذا ألف الارقام ونظمها وكتب الاسم فان الملك يتصور بذلك الاسم فاعلم هذا السر وحققه »(١٣) . وينصح البونى باضافة لفظه « ايل » الى الاسم المستخرج وهى فى رأيه اسم سوريانى » يعنى لفظ الجلالة .

على انه ليس من الممكن تكوين اسم خادم واحد فقط من الاسم الالهى ، وانما عدة أسماء أيضا . وهنا نصادف تقليدا للقاعدة الاساسية المعروفة فى السحر الرسمى، والتى توسعت الاجيال اللاحقة فى استخدامها واللعب بها . وأول أشكال هذا التكوين الوارد فى النص الذى نقلناه هنا . ويتم ذلك على النحو التالى :

---

(١٢) تخضع هذه الحسابات لقواعد بعض فروع السحر مثل علم الحرف « وحساب الجمل » وما الى ذلك . وهناك قائمة بالقيمة العددية لكل حرف من حروف الابجدية . قارن محمد الجوهرى المرجع السابق ، الفصل الثانى من الباب الاول ص ص ٧٢ — ٩١ والفصل الرابع من الباب الثالث ، ص ص ١٩٨ — ٢١٢ .

(١٣) شمس المعارف ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

كهيـــال :

ك ه ى ا ل

٢٠ + ٥ + ١٠ + ١ + ٣٠ = ٦٦

ومن الاســـماء الاخرى التى يمـــكن تكوينهـــا من نفس القيمـــة العددية : هلال ، وهياكل .. الخ(١٤) .

ثالثا : لايستطيع الخادم أن ينزل الى الســـاحر ، قبـــل أن يتحقق شرطان أساسيان . أولهما : أن يذكر الساحر الاسم الالهى المطلوب بالعدد المحدد ، وبالطريقة السليمة ، وفى الوقت المناسب .. الى آخر ذلك من قواعد الاستخدام السحرى للاسماء الالهية . الثانى : لابد للخادم أن يحصل على اذن من الله بالنزول الى الساحر وتلبية طلباته . أما الخدام السفليون (أو الارضيون) فيحصلون على ذلك الاذن من الملاك العلوى الحاكم عليهم(١٥) .

رابعا : بالنسبة للاعمال ذات التأثير الخطير ينصح الساحر بتلاوة صيغة معينة ـــ اسمها « حصن » ـــ عددا معينا من المرات . والهدف من تلاوة هذا الحصن حماية الساحر من الارواح السفلية ـــ الذين يسمون هنا صراحة «جن» ـــ خلال استخدامهم فى انجاز هذا العمل . ومن الشواهد ذات الدلالة فى هذا الصدد نورد النص التالى : « ويشترط قبل تلاوته أن يتلى هذا الحصن قبلها (وصحتها قبله) ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا ، وهو أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . توكلت على الله ، حسبى الله ، لا حول ولا قوة

---

(١٤) قارن : الاصول ، ص ١١٢ .

(١٥) قارن محمد الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ وما بعـــدها وكذلك « الاصول » ، ص ص ٩٣ ـــ ٩٤ .

الا بالله العلى العظيم ، اللهم أحجبنى من جميع أصناف الجن وأنواعها وأجناسها بكلماتك التامات المباركات .. الخ »(١٦) .

خامسا : تكون لحظة اللقاء بين الجنى الخادم والساحر فى جميع الاحوال تقريبا لحظة حرجة فى حياة الساحر ، مما يستدعى منه الاستعداد لها على الوجه الاكمل . ومن هذه الاستعدادات : اطلاق البخور ، وقد ينصح فى بعض الاحيان باستخدام نوع معين من البخور(١٧) ، وارتداء ملابس جميلة وطاهرة ، قد ينص أحيانا على ضرورة أن تكون بيضاء اللون(١٨) . وعلى الساحر أن يتعطر استعدادا لهذا اللقاء . ويطلب منه تجنب بعض ألوان الطعام « لان الارواح لا تحبها » كالبصل والثوم . وقد يرد فى سياق آخر النص على استخدام هذه الاطعمة كبخور — أو استخدامها على نحو آخر — فى الاعمال السحرية الموجهة للشر(١٩) . وكثيرا ما ينبه صراحة على أهمية البعد عن المعاصى وتجنب الذنوب . ومن المعاصى التى ينص على تجنبها مثلا : الزنا ، وشرب الخمر وما الى ذلك . فاذا اقترف الساحر هذه الذنوب عاقبته الملائكة الموكلة بالاسماء(٢٠) .

ونود أن نشير فى هذا الصدد الى ملاحظة هامة على السحر الرسمى عند البونى ، وهى أن السحر الخير والشرير — أو كما يقال السحر الابيض والسحر الاسود — لا يمارس الا بوسائل بيضاء . فالبونى كمتصوف وساحر محترف لا يعرف وسائل تمثل معاصى بطبيعتها . هذا بينما نصادف فى بعض كتب السحر طلبات من الساحر أن يستخدم فى عمله — على نحو

---

(١٦) الاصول ، ص ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .
(١٧) قارن على سبيل المثال : الاصول ، ص ١٨ .
(١٨) الاصول ، الموضع السابق ، وشمس المعارف ، ج ٢ . ص ٢٣٨ .
(١٩) قارن مثلا : الاصول ، ص ٢٤١ وص ٢٧٤ .
(٢٠) قارن على سبيل المثال المخطوطة المنسوبة للبونى : « شرح تصريفات الوفق » ، (دار الكتب المصرية ، قوله ١٥١ تصوف) ، ورقة ٣ أ و ٣ ب .

محدد مرسوم ــ دم الانسان ، والتجــول أو البقــاء وقتا معينا عارى الجسم • الخ(٢١) • وقد حاول السحرة الرســميون ــ الذين يخضعون للتعاليم الاسلامية ظاهريا ــ تجنب هذه الوسائل المشار اليها • فالبونى هنا ساحر رسمى بالمعنى الحق الكلمة •

بعد تحقيق كل هذه الاشتراطات ينزل الجنى الخادم الى الساحر ، ولكن ليس قبل تعريضه لاختبارات قاسية • ولعل الخادم يريد بهــذه الاختبارات امتحان صلابة الساحر وقوة عزيمته ، قبل دخوله فى علاقة مع هذه الكائنات العليــا فوق الانســانية • وفى هــذا يكتب البونى قائلا : « •• فاذا تم عشرون يوما يأتيك خادم من الخدام ويقول لك يا ابن آدم مضى لك عشرون يوما وأنت فى هذا التعب فأرح نفسك وخد ما يكفيك من المال • ويبالغ لك فى الكلام فلا تقبل منه شيئا ، ولازم على الذكر حتى تتم الاربعين ••• »(٢٢) •

سادسا : لحظة اللقاء نفسه : هناك طائفة من الامارات التى تنبىء بظهور الخادم • « علامة وقوف الملك قبالك أنك تثاءبت فاعلم ذلك ، وكلمه فيما تريد »(٢٣) • غير أن أبرز العلامات وأكثرها شيوعا أن يظهر الملاك وسط ضوء باهر مفاجىء ، أو يبدو هو نفسه كهاله من الضوء • ففى الحالة الاولى : « ترى الخلوة قد امتلأت نورا وترى فى خلال ذلك النور أشباحا فقو قلبك ولا تخف • وترى اسم الجلالة قد تشكل بالنور حتى ترى روحك كأنك غارق فى بحر من نور فقو قلبــك وثبت جنانك • ولم تزل على تلك الحالة مقدار ثلاث ساعات فيأتيك خادم الاسماء حتى يملأ لك المكان فلا تخف منه فانه مبارك • واياك أن تخاف منه فيسلم عليك فرد عليه السلام

---

(٢١) قارن مثلا ، جلال الدين السيوطى ، الرحمــة فى الطب والحكمة ص ص ٢١ ــ ٢٢ ، وص ١٢٥ وما بعدها ، خاصة ص ١٣١ ، و ١٣٦ .
(٢٢) شمس المعارف ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .
(٢٣) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .

وتأدب معه فانه .. »(٢٤) . أما فى الحالة الثانية فيتكون الخادم نفسه من نور بحيث « لا يتمكن منهم نظر ناظر لقوة أشعة أنوارهم وصفاء جوهرها .. »(٢٥) . وتورد كتب السحر بالتفصيل وصفا دقيقا لمظهر كل من « الخدام السبعة » ، والطريف فيه أن أحدهم ينزل الى الساحر فى « قبة من نور أسود »(٢٦) . وفى الحالة الثالثة « وبعد ثلاثة أيام يظهر لك فى المحراب قطعة(٢٧) بيضاء تنفش حتى تملأ المكان الذى أنت فيه ثم تبقى كوما ثم يخرج من تحته رجل يقول : ما حاجتك وما تطلب .. »(٢٨) . وفى بعض الاحيان تتخذ الخدام عند ظهورها للانسان هيئة أحد الطيور . كذلك يتخذ « الملاك الحارس » ــ لاحد الكنوز مثلا ــ هيئة الطير . وتكون مثل هذه الطيور فى الغالب ــ طالما كانت أرواحا خيرة ــ ذات واحد من اللونين المفضلين للملائكة وأعنى الابيض أو الاخضر(٢٩) . ولا يطلق عليها كما رأينا اسما خاصا ، فهى جميعا « طير » أو « طائر » . ومن الصور الاخرى التى كثيرا ما تظهر فيها هذه الارواح الخادمة هيئة القطة . «.. واذا أردت الخلوة أعمد لبيت طاهر وابتدى بتلاوة الدعوة حتى يظهر لك النور . وأكثر من التلاوة فى أوقات الليل وأمر القطة أن تحضر اليك . فاذا أتممت أيام الخلوة فتراها أقبلت عليك مثل الدنيا . وتكبر حتى تبقى مثل القمر وتتصور وتخاطبك وتقضى حاجتك »(٣٠) .

---

(٢٤) المرجع السابق جـ ١ ، ص ١٣١ .
(٢٥) الاصول ، ص ٩٣ .
(٢٦) المرجع السابق ، ص ٩٤ .
(٢٧) هذا هو شكل الكلمة كما وردت فى طبعة شمس المعارف الكبرى حوالى عام ١٩٠٠ ، أما فى الطبعة الاحدث ــ التى نشير الى أرقام صفحاتها هنا والايسر منالا للباحث الآن ــ فنقرأ الكلمة بوضوح قطة . وهو فى رأينا تحريف أتاه الناشر الحديث الذى خضع ولا شك لصورة القطة وخصائصها فوق الطبيعية فى المعتقد الشعبى . ارجع الى الفقرة (أ) من الجزء ثالثا من هذا البحث .
(٢٨) شمس المعارف ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
(٢٩) شمس المعارف جـ ٤ ، ص ٣٩٤ .
(٣٠) شمس المعارف جـ ٤ ، ص ٤١٦ .

وهكذا يظهر الخادم للساحر بصـــورة أو بأخرى ، ولكنه مـــع ذلك لا يأتمر بأمره ولا يجيب له أى مطلب قبل أن يحقق الساحر له كل شروطه بدقة • ومن الامثلة الطريفة ــ المتكررة ــ التى تعيننا على تصور هـــذا الموقف الشاهد التالى من شمس المعارف للبونى حيث يقول « ••• فحينئذ يدخل عليه ثلاث ملائكة وجوههم كالقمر ليلة البدر عند تممه لكن وجوهم كبار كالاتراس ونورهم يكاد يخطف الابصار • فيقولون الســـلام عليك يا عبدا صالحا ورحمة الله وبركاته • نحن خدام السورة الشريفة العظيمة (المقصود سورة الاخلاص) فما الذى تريده منا • فترد عليهم السلام وتقول أريد منكم اكراما واجلالا وتعظيما لمن هذه السورة صفته • أن تخدمونى وتطيعونى فيما أمرتكم به ولكم على أن لا أريد منكم الا حاجة ترضى الرب • فيقولون السمع والطاعة • قد برينا قسمك وأجبنا دعوتك • ولكن لنا عليك شرطان من يومك هذا وساعتك هذه لا تقع فى معصـــية ولا كذب ولا تأكل الثوم ولا البصل ولا السمك • وتصوم يوم الخميس دائما• تتلو فى ذلك اليوم والليلة وهى ليلة الجمعة السورة الشريفة عشرة آلاف مرة تهدى ثوابها لاموات المسلمين وأن لا تقطع صيام يوم الخميس الا أن يكون نهار عيد • وان لا تبطل غسل الجمعة وان تزور المقابر كل نهار سبت قبل طلوع الشمس وتقرأها احدى عشرة مرة وتهـــدى ثوابها لامـــوات المسلمين • فتقول نعم والله يهدى السبيل ، والله على من الشاهدين بذلك• فحينئذ يصافحونك ويقولون لك قد صرت أخا لنا من اخواننا فأى حاجة طلبت نقضيها لك ان شاء الله تعالى •• فتقول لهم أعطونى كل واحد منكم اشارة أطلب بها فيقول الاول : أنا اسمى عبد الواحد فاتل السورة وقل يا عبد الواحد أجيبك • ولك على أن أحملك الى مكة وأردك الى منزلك فى ساعة واحدة • ويقول لك الثانى •• الخ »(٣١) •

وهناك بعض الخدام الذين لا يعينون الا على الخير ، بل انهم يؤذون

---

(٣١) شمس المعارف ج ١ ، ص ١٤٠ .

من يحاول تسخيرهم لتحقيق أغراض شريرة(٣٢) • وكثيرا ما تؤكد الكتب لمستخدميها على ضرورة معاملة الارواح بغاية اللطف والادب ، أى الوقوف عندما تظهر له ، والا يطلبهم الا للاعمال الهامة التى لا تستطيع الارواح السفلية القيام بها(٣٣) ، وأن يعبر عن طلبه فى كلمات سريعة موجزة ، كى يستطيعون العودة الى ربهم، حيث يعبدونه ويسبحون بحمده• ويوضح لنا المثل التالى كيف ينبغى أن يكون سلوك الساحر مع مثل هذه الكائنات : « وينبغى للطالب (المقصود الساحر) اذا استحضر أحدا من الملوك السبعة فمن دونهم أن يراعى مقام كل منهم فلا يمزح معهم ولا يباسطهم بكلام غير مألوف عندهم • ويعامل كلا منهم بما يجب له وأن يكون طلبه الحاجة منهم عن ضرورة لا عن امتحان • ويخاطب الملوك باللين والاعوان بالشدة والعوارض والعمار والقرائن بالشدة والزجر والقهر والتهديد • فان الطالب الذى يراعى ذلك لا يزال مهابا نافذ الكلمة »(٣٤) •

سابعا : من الضرورى بعد انتهاء اللقاء أن يتلو الساحر صيغة معينة لصرف الارواح علوية كانت أو سفلية • وتحذر كتب السحر أشد التحذير من نسيان هذه الصيغة ، اذ أن ذلك قد يعود عليه بالخطر الكبير(٣٥) • ومن التعليمات الضرورية فى هذا الصدد أيضا ألا يدع الساحر الملاك عنده وقتا طويلا •

ونود أن نختم هذه الفقرة بملاحظة هامة • وهى اننا لا نصادف كل هذه القواعد مرصوصة بهذا التفصيل فى كل مناسبة الحديث عن لقاء الساحر بالارواح • بل اننا نلاحظ فى كل طبعة جديدة من هذه الكتب التى

---

(٣٢) شمس المعارف ج ٣ ، ص ٢٥٠ .
(٣٣) انظر على سبيل المثال شمس المعارف ، ج ١ ، ص ١٢١ ، و ج ٢ ص ٢٣٨ ، والاصول ، ص ٩٣ .
(٣٤) الاصول ص ٩٤ .
(٣٥) انظر المواضع العديدة التى ورد ذكرها عند محمد الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .

بين أيدينا اضافة شيء جديد ، وحذف بعض من القديم وهكذا ، وكثير من القديم يطمس لعدم فهمه بعد ما آل اليه ميدان السحر الرسمى (الاحترافى) من أوضاع فى الوقت الحاضر • فبعض أسماء الملائكة تحرف من صفحة الى أخرى(٣٦) • وكثيرا ما خرج الكتاب على الاصول والقواعد السحرية الرسمية • كالخاصة مثلا بتكوين أسماء ملائكة وخدام من القيمة العددية للاسماء الالهية • الخ •

(٣٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

خاتمـــة

لعل دراستنا هذه أفلحت فى القاء الضوء على مختلف جوانب الجن فى المعتقد الشعبى المصرى • وان كانت تعتبر نفسها قد نجحت وحققت أولى غاياتها وأهمها اذا كانت قد أثارت من التســاؤلات أكثــر مما قدمت من اجابات • فالموضوع مازال بكرا فى لغتنا العربية ، وهذه الدراســة أول معالجة فولكلورية على الاطلاق ، وحسبنا أن نشير الى بعض النقاط ذات الدلالة الخاصة •

١ ــ تقدم لنا هذه الدراسة أول نموذج عملى على ضرورة ودلالة الفصل بين مجالين متميزين من المعتقدات السحرية : الاول أسميناه السحر الشعبى ، والآخر السحر الرسمى أو الاحترافى • فصورة الجن ودورها وأهميتها وعلاقات الناس بها تختلف هنا عن هناك • وترتيبا على هــذا تناولنا الموضوع منفصلا بهذا الشكل •

٢ ــ وقد حاولت الدراسة أن تؤكد نوع الصلة بين هذه الطائفة من المعتقدات الشعبية وبين نظائرها فى المعتقد الدينى فى صورة مســح عام للجن والملائكة فى الاديان المختلفة • والاعتبار الاساسى هنا أن المعتقدات الشعبية ليست فى نهاية الامر ســوى الوعاء الذى ترســبت فيه آلاف المعتقدات المتجمعة من الديانات البدائية القديمة التى عرفها هذا الشعب وتطابقت وأفكاره عن الكون والناس • وظلت على ثباتها تنتقل بالمشافهة جيلا بعد جيل رغم محاربة الدين الرسمى لها• فهذه الطائفة من المعتقدات الدينية اذن خلفية لازمة لابد من تكوينها وتوضــيحها قبل الدخــول الى تناول أى معتقد شعبى ، وهما ليسا معزولين عن بعضهما تمام الانعزال • فالمعتقد الدينى الرسمى يعيش فى النهاية فى صدور الناس جنبا الى جانب المعتقد الشعبى • وان كان ذلك المعتقــد الشعبى أكثر قربا ورســوخا فى نفوس أفراد الشعب ، خاصة أولئك الذين قل حظهم من الثقافة الرسمية (أو الراقية) •

٣ — أما فيما يتعلق بتشخيص طبيعة الجن وخصائصهم فى المعتقد السحرى الشعبى أو الرسمى فقد ظهر لنا بوضوح أن هذه الكائنات التى أدرنا عليها بحثنا هى فئة من المخلوقات الغريبة لم يكن ليتسنى الفصل بين عناصرها (كأن نتناول مثلا « أرواح الموتى » أو « أسياد الزار » على حدة) دون أن يبدو ذلك الفصل مفتعلا وتعسفيا • فهى تنتمى جميعا الى فئة ذات سمات عامة : طبقة من المخلوقات الوسطى الغيبية ، فوق مستوى البشر ودون مستوى الآلهة ، تختلط داخلها نوعيات ومسميات متشابهة ومتباينة • وأفضل سبيل لفهمها تناولها مجتمعة •

٤ — وبرغم ما توفر لهذا البحث من مادة متعددة المصادر فقد لمسنا ولا شك النقص الكبير فى معلوماتنا عن كثير من عناصر المعتقد الشعبى فى واحد من أهم الموضوعات التى شغلته فى الماضى — ولا تزال عالقة به ، متغلغلة فيه حتى الوقت الحاضر • ولن يتسنى سد مثل هذه الثغرات الا من خلال دراسات ميدانية تنهض بها طائفة من المتخصصين فى دراسة الفولكلور والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرهم من المهتمين بدراسة التراث الشعبى •